# دليلك لكتابة



# القصص البوليسية (*)

ب. ج. وودهاوس/ت: أحمد خالد توفيق

حقيقة غريبة لاحظها المفكرون، هي أن أخطر الأوبئة في التاريخ انقضّت على العالم بلا إنذار وفجأة. لم يلحظ أحد قط أن شيئًا غريبًا يحدث حتى نهضوا ذات يوم ليدركوا الحجم الحقيقي للمأساة. في القرون الوسطى مثلاً كانت الحياة هادئة .. الفرسان يتبارزون والراعيات يرعين الخنازير، والإقطاعيون منشغلون في الاستيلاء على الأراضي .. لابد أن هذا كان يوم ثلاثاء عندما مشى ذلك التابع في الطريق بين (ساوثهامبتون) و(ونشستر). فقابل خادمًا لئيمًا فتبادل معه الكلام ثم كما يحدث عندما يلتقي فلاحان، ساد صمت لمدة عشرين دقيقة، وفي النهاية قال التابع:

-"في قريتي جدّ جديد سبّب الكثير من العجب .. إن (بيل) العجوز قد اسود لونه أمس"

- "اسود ؟"

- "اسود حقًا .."

- "بحق القديس (جيمس الكومبوستالي) !.. حيث أعيش صار راعي بقر أسود كذلك"

- "لا تقل هذا .."

- "الحق ما أقول"

صاح التابع:

- "ماذا عساه يحدث هذا؟"

- "ليس بوسعي القول، فأنا غريب هنا"

بعد أسبوع اجتاح الموت الأسود البلاد.

**نصائح لابني جون:**

نفس الشيء ينطبق على فن كتابة القصص البوليسية الذي اجتاح بريطانيا كالوباء. في البداية لم نر الشر قادمًا .. لكننا الآن منغمسون فيه حتى الأعناق. لابد أنه فيروس معين يجعل أفضل الكتاب يصممون على كتابة القصص البوليسية. المشكلة أنه يصيب أسوأهم

كذلك. هكذا تحولت هذه الجزر العظيمة إلى مستشفى مجاذيب مليئة بمخابيل يقرأ كل منهم القصص البوليسية التي كتبها الآخرون. و٩٩ من كل مائة رواية هراء .. فكرة مقلقة فعلاً..

لو كان لي ابن يريد أن يكتب قصصًا بوليسية، وهو بالتأكيد ما كان سيفعله، فإنني سأنتحي به جانبًا وأشرح له مصاعب هذه المهنة.

سأقول له:

- "(جون) أو (جيمس).. إن هذه المهنة خطرة .. هناك قارئ يتثاءب متربص بك.. تخبره أن سير (جريجوري بولسترود) قتل في مكتبته .. فيقول لك: ومن يبالي بهذا؟.. تخبره أن النوافذ والأبواب مغلقة، فيكون رده: هي كذلك دائمًا .. تخبره أن أصابع الاتهام تشير إلى ستة متهمين فيقول وهو موشك على النوم: لابد أن القاتل واحد منهم في النهاية ؟"

هذه هي المشكلة .. أنت متأكد من أن البطل ولا البطلة لم يرتكبا الجريمة .. لابد أن القاتل ليس (ريجي بانكس) لأنه شخصية مضحكة وأية شخصية مضحكة في قصة بوليسية لا يمكن أن تقتل. لا يمكن أن يكون القاتل هو العم (جو) لأنه طيب مع الكلاب، من هنا تستنتج أن القاتل هو وريث بعيد يحقد على الضحية منذ أربعين عامًا.

**من قتل السير (رالف) ؟**

لو أنني كتبت قصة بوليسية فلسوف أتجه فورًا إلى الإثارة العظمى. لن يرتكب الجريمة أي شخص في الكتاب .. هذا هو المقطع الأخير من القصة التي كنت لأكتبها في أسبوعين لو أنني مولع بهذه القصص:

سألت المفتش:

- "هل تعني أنك حللت هذا اللغز الغامض ؟.. أنت تعرف من طعن السير رالف بتلك المدية الشرقية؟"

قال لي:

- "نعم"

- "لكنك مكتئب"

- "لأنه من المستحيل تقديم الفاعلين للعدالة .. لقد كانا اثنين .. اثنين من أسود القلوب وأكثرها خطرًا على المجتمع.."

- "لكن ما دمت تقول هذا، فكيف لا يمكنك أن تذيق المجرمين ما يستحقانه ؟"

- "لأنهما ليسا في هذا الكتاب على الإطلاق .. لقد كان المجرمان شديدي الذكاء بحيث لم يتوغلا أكثر من صفحة العنوان .. إن من قتل سير (رالف) هما مستر (ستاوتون) و(هودر)"

**تمت**

سيكون هذا مثيرًا بالتأكيد. إثارة تفتقر لها القصص البوليسية الحالية.

لاحظ أنني استعملت ما نسميه المخبر المتوسط .. واحد من هؤلاء المخبرين الهواة المقتضبين الذين لهم وجه صقر .. يخيل إلي أن هذا أفضل الأنواع مقارنة بأنواع المخبرين الأخرى:

١- الجاف.

٢ـ الممل.

٣ـ الفوار.

وأنا لا أحب هذه الأنواع الثلاثة.

المخبر الجاف عجوز يضع قبعة، ويلبس نظارة من الطراز الذي يثبت على الأنف، ويسعل في أناقة. إنه ممل غالبًا. لكنه ليس مملاً كالمخبر الممل .. إن هذا الأخير هو النوع الذي يكشف عن المجرمين بمعلوماته الواسعة بالسموم وكل شيء .. ويجد المجرم بسهولة اعتمادًا على شكل جمجمته ..

المخبر الفوار اختراع جديد نوعًا .. إنه شاب ذكي خفيف هوايته حل الألغاز .. يحبونه في سكوتلانديارد وأحيانًا ما يهز المفتش (فارادي) رأسه موافقًا على اقتراحات الشاب. إنه ليس جادًا صارمًا مثل (هولمز) ورؤية الجثة لا تثير فيه إلا ألطف الخواطر. خذ عندك هذا المشهد:

المخبر مبتسمًا: إذن هذه هي الجثة اللطيفة العجوز ؟.. لقد آذوا الوريد الودجي المسكين .. تؤ تؤ .. ماما لن تحب هذا المشهد .. لكنه عمل جميل .. ألا ترى هذا ؟

ليس بالفتى الجذاب، لكنه في كل مكان اليوم، ويؤسفني أن أقول هذا.

أفضل المخبرين هم الذين تجدهم في قصص (إدجار والاس) لأنهم يعملون في سكوتلانديارد .. إن هذا المخبر له خلفية .. يمكنك أن تثق به وتصدقه .. ولو أصر ابني على أن يكتب القصص البوليسية فلسوف أطلب منه أن يعطي البطل سُلطة .. بهذا تكون إدارة الفيش والتشبيه تحت أمره، ولو أراد أن يمنع القاتل من مغادرة لندن فإنه يكلف ٣٠٠٠ شرطي بمراقبة الطرق. صحيح أن القاتل سيهرب لكن لا تقل إنه ليس من الجميل أن تحظى باهتمام ٣٠٠٠ رجل شرطة.

الآن على ابني (جون) أو (جيمس) أن يهتم بنقطة أخرى .. ماذا عن القاتل نفسه ؟

**القاتل الأستاذي المجنون:**

مجرمو القصص البوليسية يقعون في ثلاث قوائم كلها سخيفة:

١ـ رجال أشرار من الصين أو الهند .. باختصار من كل مكان عدا لندن، يبحثون عن الجوهرة التي سرقت من معبدهم.

٢ـ رجال يحملون شهوة الانتقام على مدى ثلاثين عامًا.

٣ـ المجرم الأستاذي.

بالنسبة للنوع الأول أنصح ابني بأن يجرب كل شيء آخر أولاً.. لقد وصل هؤلاء القتلة لنقطة التشبع.. ثم إن الجنسيات التي تنتج الأشرار قد صارت حساسة هذه الأيام .. اجعل المجرم صينيًا ولسوف يتلقى ناشرك عشرات الخطابات الغاضبة من أمهات صينيات .. الأمر لا يستحق هذا كله.

أما القاتل من الطراز الثاني فغير مقبول .. نحن نعيش في زمن عملي، ولم نعد نؤمن مثل آبائنا برجل يظل حاقدًا ربع قرن.. في عصر الجولف والتنس والتلفزيون يبدو عسيرًا أن يحتفظ شخص بشعور مرير تجاه شيء حدث له عام ١٩٠١.

أما عن المجرم الأستاذي، فإن نفسيته شيء لم أستطع فهمه قط. أفهم شخصية الرجل الذي يريد مالاً فيسمم عمه ويطلق النار على ابني عمه ويزور وصية .. هذا هو البيزنس الحق. يعتمد على قواعد تجارية سليمة. لكن القاتل الأستاذي لا يريد مالاً.. إنه يملك الملايين .. فماذا يريد بالله عليك ؟.. لم لا يتقاعد ؟

لقد قرأت قصة أخيرة عن واحد من هؤلاء اضطر للحياة في بدروم قرب مصرف النهر.. وراح يقطع الخشب في الغابة، ولو حسبت ما يدفعه من مال لرواتب كل الصينيين ذوي العين الواحدة، والمكسيكيين الذين على وجوههم ندوب، وكل الخرس الذين يجيدون قذف الخناجر، فإنك تجد أنه أنفق نحو ثلاثة ملايين جنيه.

كان بوسعه بهذا المبلغ أن يملك يختًا وسيارات ومنزلاً فاخرًا وضَيْعة ريفية وإسطبل خيول. كان بوسعه أن يعيد إحياء الأوبرا البريطانية أو يطبع نسخًا رخيصة من شكسبير. لكنه فضل أن يعيش في هذا الوكر لأنه يريد أن ينفذ جريمة أستاذية .. فلا تعرف إن كنت تضحك أم تبكي.

عرفت ذات مرة قاتلاً أستاذيًا في قصة أدار منظمة كاملة لعدة أشهر، والغرض شق نفق إلى البنك. وماذا تظن كان في البنك ؟... اثنا عشر ألف جنيه !...

اثنا عشر ألف جنيه !... وهو سعر قريب مما أتقاضاه أنا مقابل هذا المقال!..

عامة يا (جيمس) أقترح أن تتجنب هذه الأنواع الثلاثة من القتلة. فكر في القاتل العادي المجنون الذي يمكن أن يهرب بجريمته. قل للرجل الذي يحلم بالانتقام: ماذا لو قتلت سير (رالف) يا عزيزي ؟.. ماذا تفعل في ليالي الشتاء الطويلة وقد انتهى أي مبرر للانتقام ؟

بالنسبة للقاتل الأستاذي نخبره أنه يكافح كي يضيف مالاً لدخله المرتفع بالفعل .. حرام أن يقف في ليلة باردة خارج نافذة غرفة نوم البطل يضخ الغاز، أو يثقب السقف ليسقط منه ثعابين الكوبرا.

لكننا نصفق للقاتل العادي البشري الذي له دوافع بشرية.. القاتل الذي يشبهنا.

**الهوامش:**

(*) هذا المقال منشور في:

**P G Wodehouse**: About these mysterious stories. In The Pocket Mystery Reader. 4 th ed. Pocket Books Inc. New York. 1943. PP 238-246.